

الراديو والسينما في خدمة المجتمع

الراديو والسينما بدعتان من بدع العصر الحديث . والسينما يزيد عمرها على الراديو بنحو
عشرين سنة . ولكن الراديو على صغر سنه أكثر إنتشارا . وهو يتفشى تفشيا ديمقراطيا
في الأحياء الفقيرة: في القهوة والبيت والزقاق في حين أن السينما لا تزال أرستقراطية تميز وتحدد
في مكان خاص يؤمها جمهور معين يؤدي أجورا عالية أحيانا ومتوسطة في الأغلب لكي
ترى ويسمع .

وأثرهاتين البدعتين في التربية كبير جدا، وسيكون أكبر في المستقبل حين ينخفض ثمنهما
ويتقن أدائهما بل حين يندججان في التلفزيون اندماجا قليل التكاليف لا يهبط العائلة التي تفتنى
الجهاز مواء في الثمن أم في الإدارة . ونحن إلى الآن لا تقدر الأثر العظيم الذي تحدثه السينما
في رجالنا ونسائنا وصبياننا . فإن الرجل الذي يتردد على الدار السينائية مرة أو مرتين كل
أسبوع يجد سلوى قد تغنيه عن الشراب أو عن نوم القيلولة ويجد معارف جديدة تزيد
فهمة للحوادث العالمية كما يجد ألوانا أخرى من الحضارة التي تغريه بأزياء جديدة في أثاث
المتزل وفي الملابس اليومية له أو لزوجته ، وفي طراز المباني ، بل أيضا في الأخلاق والسلوك ،
وكذلك الراديو يؤثر فينا كل يوم بل كل ساعة بما يذيعه علينا من ألحان أو أغان يملها الهواء
إلى آذاننا على الرغم منا فيضرب على أوتار النفس ويكيف لنا مزاجا فنيا له أثره العظيم
في أخلاقنا بل هو يوجهنا بألوان من الفكريات والدعايات .

فنحن في عصرنا الحديث نتكيف بالراديو والسينما . وتكون لنا أخلاق وأمزجة فنية
وتزداد معارفنا وتوجه ثقافتنا من حيث لا نحس مجهودا منا ولا مجهوما علينا ، بل ينقل كل
ذلك إلينا وكأننا أردناه وتتألف لنا من هذه المؤثرات شخصية قد انطبعت فيها آثار ماضية
ونشأت فيها آمال مستقبلية وتعين لها سلوك عام . ونحن مع ذلك في بداية البدعتين أي لما نصل
إلى نهايتهما . وكلاهما من المنتجات الكهربائية التي مازلنا نجهد إمكاناتها الخطيرة . فإن القوة
الكهربائية على الرغم من أنها تقوم لنا بخدمات عظيمة لا تزال في طفولتها من حيث الاستعمال .
وليس اليوم بعيد حين تغدو هذه القوة الخادم الوحيد في منازلنا تكنس وتطبخ وتكيف
الهواء وتغسل ملابسنا بل وتحلق لحانا . وهي تفعل كل ذلك الآن في بعض البيوت المترفة .

ولكن في الزحف سحبية ملازمة . فهو ينشأ ارستقراطيا يستأثر به الأغنياء ثم لا يزال ينبسط ويستفيض حتى يعود ديموقراطيا يقتنيه الفقير . وهكذا الشأن في القوة الكهربائية . فإننا نحن المتوسطين نستطيع أن نعاطب أصدقاءنا الآن عن سبيل التلفون الكهربائي . وأيضا نقتني الراديو في بيوتنا . فهل يبعد الزمن الذي يتحقق لنا فيه استخدام القوة الكهربائية في اقتناء سينا خاصة ؟ بل في اقتناء تلفزيون يجمع بين الراديو والسينما فضلا عن تنظيف بيوتنا وغسل ملابسنا وطبخ طعامنا وتبريد الهواء وتدفعته بالقوة الكهربائية ؟

وظنى أن هذا الزمن ليس بعيدا . بل ليس بعيدا أن مساقط المياه في أسوان سنستخدمها مستخدما كهربائيا في إضاءة منازلنا وطبخ طعامنا في القاهرة . وقد لا تحتاج مع ذلك إلى مد الأسلاك بيننا وبين أسوان .

وقد استطردت إلى شرح بعض الممكنات الكهربائية ، لأن الراديو والسينما كلاهما من محمولات هذه القوة العجيبة . وكلما أزددنا تمكنا من هذه القوة ونفوذها إلى أسرارها ازداد الراديو والسينما رقا حتى يتنهما إلى الكمال المنشود في التلفزيون حين يتدمج أحدهما في الآخر فترى - في بيوتنا - الملوحة السينائية ونسمع في الوقت نفسه أحاديث المتكلمين أو أغانيهم ونرى حركاتهم وإيماءاتهم . ألا ما أجمل وأبهج هذا الأمل ! إننا عندئذ لنشكو قلة الفراغ ، هذا الفراغ الذي نسأم الآن من وفرته ونحاول أن نتخلص منه بساويات بريئة أو أئيمة .

وكلاهما - الراديو والسينما - قد انتقص عند العامة من قيمة القراءة . فان الأمل يستطيع أن يفهم أحاديث الراديو كما يستطيع أن يرى المناظر السينائية ويتبعها في إدراك حسن لمفزاها دون أن يحتاج إلى قراءة ما يكتب لشرحها . ومن هنا قيمة الراديو في القرية لأنه يكافئ الأمية دون حاجة إلى تعليم القراءة والكتابة . فإننا نستطيع أن تعلم الفلاح بل جمهور الأمة من الفقراء الأميين شيئا كثيرا من الثقافة الصحية والزراعية والمدنية اذا نحن عمدنا إلى الطرق المنطقية دون أن نلتزم أسلوبا معينا في الأداء بلو على مستوى المستمعين . وقد استطاعت محطة الاذاعة في القاهرة أن تشارك مع وزارة الشؤون الاجتماعية في القاء أحاديث اجتماعية إرشادية كما أنها استطاعت أن تلقى دروسا في اللغات . وهي بالطبع قادرة على التوسع في هذا العمل بشرط أن تجعل نصب عينها على الدوام أن المستمع يريد الاستمتاع كما يريد الانتفاع . وفي مقدور هذه المحطة أن تشارك مع الحكومة في ترقية الأغاني والألحان . فان بعض أغانينا يشبه أن يكون تائوبا أو نهيدا منغمين . وللا نغام تأثير فعال بل سحري في النفس . فاذا سمعنا أغنية أولحنا قد عزفا على أوتار التناوب أو التهد فاننا نحس هذا الاحساس النائم الحزين فيأثر به سلوكنا اليومي بل أخلاقنا العامة فنسلك في أعمالنا سلوك التراخي والكتابة . ولذلك يجب أن تتعاون محطة الاذاعة والحكومة على ترقية الأغاني والألحان بحيث يبعثان النشاط والمرح بدلا من الكسل والنعاس .

أما الأحاديث فكثيرة ونحن لا ننتفع بها كما يجب . ففي أوروبا وأمريكا تنشأ حلقات المستمعين الذين يستمعون لهذه الأحاديث كل جماعة على حدة . فهنا جماعة الأمهات والآنسات الأتقى يستمعن إلى أحاديث نسوية أو منزلية . وهنا جماعة أخرى يستمعون إلى الأحاديث السياسية أو الأدبية أو العلمية . وكل جماعة تدرس وتمتد وتناقش وتتصل بالمحطة وتطلب الزيادة هنا والتفتيح هناك . والمحطة تنتفع بهذه الحلقات . وإني أرجو من المستمعين أن يفكروا في هذا الموضوع . ومثل هذه الحلقات تتيسر أكثر للمجتمعين في ناد عام مثل جمعية الشبان المسلمين أو جمعية الشبان المسيحية أو أحد الأندية الرياضية أو أندية الموظفين أو غيرها . وهناك يقعد المجتمعون في ساعة الحديث حول الجهاز فيستمعون ثم يعلقون وريقة بون بأرائهم واستنتاجاتهم وانتقاداتهم .

وجهور السينما بالطبع أصغر من جمهور الراديو . ولكن الفرص التعليمية في السينما أكبر وستكون الفرص أكبر عندما يندمجان . وقد اندمجا بالفعل بالتلفزيون الذي تزدان به بيوت الأغنياء - والأغنياء فقط - في الأقطار الأوروبية والأمريكية . ولذلك لا نستطيع أن نتنظر ظهور السينما البيئية في مصر إلا بعد سنوات نرجو ألا تكون كثيرة .

وعندى أن السينما أعظم المنتهعات المدنية التي يمكن أن ينتفع بها التعليم . بل لا أكاد أعرف السبب الذي يجعل تعليم الجغرافيا والتاريخ مقصورين على الأساليب القديمة . فإن الفرق عظيم عظم الجبال بين التلميذ الذي يحفظ عن ظهر قلب - كما كنا نحفظ - في صبانا أن سان فرانسيسكو مثلا في إحدى مدن الولايات المتحدة الكبيرة على الشاطئ الاطلطى وبين التلميذ الذي يراها بسكانها الأمريكيين والمهاجرين الاسيويين اليها ومبانيها الشواحق وحركة النقل الميكانيكية في شوارعها مع صورة فاتنة مؤلمة ومشجية للزلازل السابق فيها . انى أقول إنه فرق يعظم عظم الجبال بين التلميذ القديم وبين التلميذ الحديث الذي ينتفع في تعلمه للجغرافيا بالسينما . وكذلك التاريخ بل كذلك البيولوجية من نبات أو حيوان . وفي الطبيعة من الأسرار العجيبة والجميلة ما يستهوى عقول الصغار . فإن حياة الغراب أو الحمامة أو بعض الطيور التي تتزوج في فنلندا وتبيض في مصر يمكن أن تعرض على اللوحة عرضا يفتن الصفاو ويسحر ألبابهم ويجعلهم أبناء هذا العالم بحق يعيشون فيه بروح الطالب الذي يطلب النور والمعرفة مدى حياته . ونستطيع أن نقول مثل ذلك عن حياة النبات وقصة الثوابل التي ناكلها كل يوم على موائدنا وهي تنمو بعيدة عنا على أشجار ضخمة في أقطار تبعد عنا بنحو عشرة آلاف كيلو متر .

ثم أية هواية جميلة هذه التي يجب أن يحبها الصبيان ثم الشبان في تفهم جهازى الراديو والسينما ، وهل يظن أحد منا أن شابا قد استهوته هذه الهواية يمكن أن يغشى عليه من مفاسد

الخمر أو القمار أو قتل الوقت في لعب الورق أو الخمر ؟ أليس في هذه الهواية ما يملأ الذهن ويشحن العواطف بقوة كهربائية تستغل العقل والجسم وتغذوهما معا ؟

وقد سبق أن ذكرت كيف يجب أن يستخدم الراديو في القرية لتعليم الأعمى من فلاحينا وإرشادهم الى ما فيه صلاح أخلاقهم وصحتهم وزراعتهم .

إن الفراغ يزداد بين جميع شباننا المتعلمين . وهذا الفراغ إذا لم نعلم شباننا كيف يستخدمونه في استمتاع نافع صاروا عرضة لأن يستخدموه في استمتاع ضار . والفراغ مثل كل خواء يحتاج الى ما يشغله ولا نستطيع أن نطلب من شباننا أن يتركوا التسلية السيئة مالم تقدم لهم التسلية الحسنة . والشاب الذي تعلم الألعاب الرياضية وأغرم بها هواها يمد بحسبه وقوامه كرامة يحافظ عليها بمداومة اللعب . والشاب الذي أغرم بالسينما لانفتهه قصة جديدة وهو يلوك أسماء الممثلين كما لو كانوا من المعارف أو الأصدقاء ويقص القصص عن تفاصيل حياتهم . بل كذلك من يحب الأتومبيل . ولعل مما يستغربه البعض أن شرب الخمر قد نقص في كثير من الأقطار الأوروبية الى نصف المقدار الذي كان عليه قبل عشرين سنة ، لأن الجليل الجديد وجد هوايات أو تسلية مثل الألعاب الرياضية والأتومبيل والسينما والراديو تشغل فراغه وتصد عنه السأم الذي كان يحسه أبناء الجليل السابق فيهربون منه الى الخمر .

ومن الممكن أن نرق بالسينما ونفنى بالراديو حتى نجعلهما يخدمان المجتمع أكثر من خدمتهما الحاضرة ويسدان هذا الفراغ الذي يحسه شبابنا والذي ربما يسقطون في مهاري الرذيلة لكي يملأوه بعمل ما .

وخلاصة القول أن إمكانات الرق السينمائي والريديوي كبيرة جدا . ولا يسع أمة متمدنة أو تنشد الرق أن تهملها . فيجب أن نساير العصر ونأخذ في الانتفاع بهما كلما حانت فرصة . وعندى أن حكومتنا يجب أن تؤسس سينما تهديبية أو تتفق مع إحدى الشركات على إنشائها في القاهرة وسائر المدن الكبرى لكي يستنير الجمهور برؤيتها . وهي الآن تملك كثيرا من الأفلام التعليمية فلن يكلفها هذا العمل ثقات كبيرة .

كما أنها يجب أن تقيم في كل قرية جهازا استقباليا أو جملة أجهزة رديوية ترفه عن القرويين وتبهر أذهانهم .

هذا واجب الحكومة . أما واجب الجمهور فهو زيادة العناية بأحاديث الراديو بإيجاد حلقات المستمعين التي تدرس وتنتقد . ومثل هذه الحلقات تستطيع إذا كبر شأنها أن يكون

لما رأى يعتمد عليه في نشاط محطة الإذاعة ، بل في حمل الحكومة على الاشتراك في ترقية أغانيها وألحانها وأحاديثها .

ومحطة الإذاعة في مصر تمتاز بأنها هيئة شبه حكومية تطلب الربح ولكن في غير ذلك الشره الذي نراه في الشركات الأمريكية التي تعيش مما تنشر من الاعلانات على الجمهور في غضون الأحاديث والأغاني والألحان. ولكن الشركات السينمائية هي شركات تجارية بحتة ، وهي لذلك تجعل نصب عينها التسلية دون الفائدة أو قبل الفائدة . والحكومة بتدخلها هنا وهناك تستطيع أن توجه وترشد وتساعد لكي تجعل الفائدة متكافئة مع التسلية . ولكن الحكومة تحتاج الى مؤازرة الجمهور لها ومعاونته إياها .

باقة من الحكم

المراء-نصب مصائب لاتنقضى حتى يوارى جسمه في رمسه
فمؤجل يلقى الردى في أهله ومعجل يلقى الردى في نفسه

نرجو غدا ، وغدا تكاملة في الحى لا تدرين ما تلد

قد يبيع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
فاقبل من الدهر ما أنك به من قر عيناً بعيشه نفعه

فيا موقدا نارا لتترك ضوؤها ويأحاطبا في غير حبلك تحطب